

الشعر الاسلامي عند محمد العيد

الدكتورة فاطمة قادري^١

الملخص

ان الحديث عن الدين- باعتباره احدى المقومات الشخصية للشعب الجزائري- سمة من سمات الشعر الجزائري الحديث مثل الدعوة الى الاصلاح و النهوض بوجه المستعمرين. يبدو أن الادب الجزائري وقع موقع اهمال الباحثين في جوانبه المختلفة رغم ما فيه من القيم و القدرات، و تعزيز مكانته فى الأدب العربى الحديث. يهدف هذا المقال الى دراسة الشعر الاسلامي و سماته عند «محمد العيد» الذى تآثر بالثقافة الاسلامية و بمضامين دينية و قيمها حيث لقب بأمير شعراء الجزائر و شاعر الشمال الافريقي، و شاعر الجزائر الفتاة و حسان الحركة الاصلاحية. مما يلفت النظر هو ارتكاز محمد العيد فى صوره الشعرية على القرآن الكريم و قصصه حيث استلهم منه المعانى الشعرية، ثم الدفاع عن الاسلام و قيمه الروحية و الحث على التضحية فى سبيل الله. و تمجيد الشهادة و الجهاد.

المفردات الرئيسية: الشعر الاسلامي، الشعر الجزائري، محمد العيد

مقدمة

إن الحديث عن الدين باعتباره إحدى المقومات الشخصية للشعب الجزائري سمة من سمات الشعر الجزائري الحديث، مثل الدعوة الى الاصلاح و النهوض بوجه المستعمرين. لقد كان الدين الاسلامي بمثابة الحصن المنيع للشعب الجزائري يحفظه من التمزق و يدفع عنه كيد الظالمين، إن فرنسا كانت متيقنة أن قوة هذا الشعب و قدرته تكمن فى قوة إيمانه، و اذا تمكنت

mf_ghadery@yahoo.com

١. استاذة مساعدة فى اللغة العربية و آدابها بجامعة يزد

تاريخ استلام البحث: ٨٨/١١/٣ تاريخ قبول البحث: ٨٩/١١/٢٤

من زعزعة هذا الجانب من شخصيته فإن الأسباب ستتوفر لها لاستغلال هذا الشعب. و لقد حاول الاستعمار الفرنسي بثتى الطرق و الوسائل تجريد الأمة الجزائرية من الدين الاسلامى و إيمانها حتى يسهل له إدماجها و إنهاء كيانها، إلا أنه لم يفلح فى محاولته بفضل الايمان الراسخ فى نفوس الشعب.

كان الدين بأوسع معانيه، من أهم الأغراض التى طرقها الشعراء. و بما أن القرآن قد احتل مكانة مرموقة فى قلوبهم، فتأثروا بهذا المعين العذب و اتضحت هذه المكانة فى تجاربهم الشعرية. و محمد العيد من اكثر الشعراء الجزائريين ارتكازاً على القرآن الكريم، يستلهم صوره و معانيه منه كما يستلهم من الدين الاسلامى و تعاليمه و مثله العليا، و لانكاد نجد قصيدة تخلو منها. و الشعرالدينى يحتل حيزاً واسعاً من انتاجه الأدبى.

إن أول من كتب عن الشعر الدينى الجزائري الحديث عبد الله الركيبي، و قد تطرق فى كتابه «الشعر الدينى الجزائري الحديث» الى الشعر الدينى الصوفى و الشعر الدينى الإصلاحى كما أشار أحمد دوغان فى كتابه «فى الأدب الجزائري الحديث» الى تمسك محمد العيد بمبادئ الإسلام و غيرته عليه. و ذكر أحمد يوسف فى كتابه «السلالة الشعرية فى الجزائر» أن محمد العيد آل خليفة قد احتذى فى شعره لغة القرآن الكريم و الأحاديث النبوية. و لم يتطرق أحد الى بحث مركز حول الشعر الاسلامى عنده.

١- التعريف بمحمد العيد

هو محمد العيد آل خليفة، ولد بعين البيضاء عام ١٩٠٤، و فيها نشأ و بها قرأ القرآن، تلقى دروسه الابتدائية بمدرستها. ثم انتقل مع أسرته الى بسكرة عام ١٩١٨ فدرس بها العلم على بعض شيوخها، عام ١٩٢٠ هـ غادر بسكرة الى تونس و درس بجامع الزيتونة سنتين، ثم رجع الى بسكرة لما طرأت عليه من الآلام. (الزاهرى، ١١)

شارك محمد العيد فى النهضة الفكرية و الصحافية فشارك بقلمه فى مجلة «الأصلاح»، «صدى الصحراء»، «الشهاب» وغيرها. و فى سنة ١٩٢٧ انتقل الى العاصمة، و قام بالتدريس فى مدرسة الشبيبة الاسلامية الحرة، و قد تخرج على يده العديد من شعراء الجزائر. أسهم فى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كان من اعضائها. (درار، ٢٠٤)

انه نشأ في أسرة محافظة على تقاليدھا الاسلامية، كما أنه حفظ القرآن، و درس بالزيتونه، فمن الطبيعي أن ينهل من الثقافة الاسلامية و يدعو الى أصول هذه الثقافة. (انظر: دوغان، ٢٧٩) يعد محمد العيد من رواد الشعر العربي الحديث. شعره شعر قدم في تراكيبه و أوزانه و قواله، و جديد في روحه و موضوعاته، في شعره خصائص القصيدة العمودية و الصور التقليدية. اغراضه الشعرية هي المراثي، و الوصف، و الوطنية، و الدينيات، و الاجتماعيات، و الاخوانيات. كان له دور كبير في الساحة الادبية و الروحية و السياسية الجزائرية. له ديوان شعر، جمع قصائده أحمد بوعد سنة ١٩٥٢ و سماه «شاعر القرن العشرين» تم طبعه سنة ١٩٦٧. (انظر: سعدالله، ٢٢٥/٨) و من آثاره مسرحية شعرية هي بلال بن رباح، صدرت في سنة ١٩٣٨. (ناصر، ١٦٦)

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي الحديث

إن الشعر الاسلامي هو الذي يتناول الدين و القضايا الاسلامية كالعبادات و الاخلاق، فالتغنى بفضائل النبي و التقرب الى الله بمدحه، و حث الأمم على استرجاع مجدهم القديم، و التقوى و ترك الموبقات، و عدم الانخداع بالدنيا و زخارفها من الموضوعات التي يتناولها الشعر الديني الاسلامي، (الدسوقي، ٢٩٨/٢) كما أن نظم الشعر في الحج و الصوم و الصلاة و سيرة السلف، و في الدفاع عن الاسلام، و المدائح النبوية كله داخل في هذا النوع من الشعر. في العصر الحديث سيطر الاروبيون على البلاد العربية عسكرياً و اقتصادياً و علمياً و حضارياً فترة غير قصيرة، مما سبب انقساماً للمسلمين و جهلهم و افتقارهم الى الفضائل العامة. فاصبح حضوراً هادماً للثقافة الاسلامية و خطراً عظيماً على المسلمين و حضارتهم. فبرز الاتجاه الاسلامي ليكتشف الوسائل و الامكانيات التي تجعل المسلمين قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الأجنبي و على تحرير بلادهم من استعمار الغرب و نفوذه. يتزعم هذا الاتجاه جمال الدين الأسدآبادي (الأفغانى) و تلميذه محمد عبده و جمع من المفكرين الذين تأثروا بأرائهم. هذه النزعة الاسلامية قد دارت على ألسنة كثير من الشعراء في أواخر القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين. (راجع ابوحافه، صص ١١٥-١٠٩) و اتخذ الشعراء الشعر وسيلة لمواجهة الاستعمار. و استخدموا في اشعارهم المضامين الاسلامية و المعاني القرآنية.

٣- الشعر الاسلامي الجزائري الحديث

إن ابن باديس^١ رائد الحركة الاصلاحية في الجزائر حدد بداية نهضة الشعر الجزائري بميلاد جريدة «المنتقد» سنة ١٩٢٥. من ذلك اليوم بدأ تحول الأدب الجزائري و تطوره، فالبعث الحقيقي للحركة الأدبية و الشعرية في الجزائر بدأ مع الحركة الاصلاحية التي نشأت في هذا التاريخ. (هنى،awu-dam.com) هذه الفكرة الاصلاحية منذ ظهورها اتخذت من الدين أحد مقوماتها الأساسية في الدعوة الى النهوض و التطور ، لأن الدين بوصفه قوة توحد الناس و تجمعهم ضد الأعداء، هو الطريق الأقوى في رفع الخلافات بين ابناء الشعب. (ركيبي، الشعرالديني الجزائري الحديث، ٦) فالدين لعب دوراً هاماً في حياة الشعب الجزائري الوطنية و السياسية و الاجتماعية.

إن تطور الشعر الجزائري الحديث قد واكب جيلاً تخرج في مدارس الحركة الاصلاحية التي كان للقرآن موقع خاص في برامجها، فمن الطبيعي أن يؤثر هذا المعين العذب تأثيراً واضحاً في قرائح الشعراء الذين شبوا في هذه المدارس، و في ظل تعاليم القرآن السامية أدركوا أن مهمتهم الأولى تربية و تهذيبية و محاربة البدع و الانحرافات التي يشجع عليها الاستعمار ليبقى الشعب الجزائري في ظلمة الجهل و التخلف.

إن الايمان بالله هو الخطوة الأولى في التربية و الاصلاح، فوقع موقع اهتمام الشعراء الجزائريين لتقوية الجانب الروحي في النفوس، و تقرب الشعب الى الله و اعتصامهم بحبل الله المتين. فلذلك الحديث عن الدين على رأى الدكتور ركيبي، سمة يتميز بها الشعر الجزائري الحديث (ركيبي، قضايا عربية...، ١٥٤) بحيث يمكن القول إن الاعتزاز بالدين و الاخلاص للعقيدة الدينية علامتان بارزتان في الشعر الجزائري الحديث. يستمد منهما الشعراء القيم و المثل العليا التي يحاولون بعثها في نفوس الشعب الجزائري لتقوية عزمهم في الجهاد في سبيل الله و الوطن. (المصدر نفسه، ٢٧٤) لقد كان الدين الاسلامي بمثابة الحصن المنيع للشعب الجزائري الذي يحفظه من التمزق و يدفع عنه أطماع الطامعين و مكائد الظالمين.

١ - هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ولد بقسنطينة عام ١٨٨٣ و تلقى علومه الابتدائية فيها ثم انتقل الى تونس و التحق بجامعة الزيتونة حيث أمّ دراسته العليا. درس في الجامع الاخضر، عام ١٩٢٥ أنشأ صحيفة «المنتقد» ثم مجلة «الشهاب». له مقالات و محاضرات، كما له تفسير القرآن الكريم، و هو يعدّ من اركان النهضة الجزائرية و رائد الفكر الاسلامي المعاصر في الجزائر. (فاحوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ١٦٥٥)

أن الثورة الجزائرية في الأساس كانت قائمة على اساس الدين الاسلامي بكل مقوماته و أبعاده (بيظام، ٢٦٦) و كان الشعر الاسلامي في العهد الاستعماري يستخدم للشكوى الى الله من ظلم الحكام و ما قاموا به من الخراب، و هذا ما لايسرّ الفرنسيين لأنهم يعتبرونه تعريضاً بهم و بنظام حكمهم، فكان الشعراء يكتبون شعرهم و يلجأون الى الرموز و يغرقون في التصوف حتى لا يفهم الآخرون ما يريدون (سعدالله، ٢٣٣/٨) لذلك نجد في الشعرالديني الإسلامي الجزائري، شعر المناقب الصوفية و التوسلات بالشيوخ و العوثيات أو الاستنجد بالله.

كان الدين من أهم الأغراض التي طرقتها الشعراء و لاسيما مدح الرسول، و التشويق الى زيارة قبره، و احياء مولده و يشمل ذلك الشعر الصوفي، و التوجه الى الله، و مدح و رثاء الاولياء و الصالحين. فالشعرالديني و خصوصاً المدائح النبوية من أقدم الأغراض الشعرية. (سعدالله، ٢٤٥) و الاعياد الدينية افضل مناسبة عندالشعراء الجزائريين، كما يبرز بعض الشعراء الشمالي و المناقب الحميدة التي يدعو اليها الاسلام كالعدل و الصدق و مكارم الاخلاق. و يعتبر موضوع الشهادة في طليعة الابعاد التي يزخرها شعر الثورة و ذلك لانتشاره في الجماهير النائرة. من الابعاد الاسلامية الاخرى التي عبّر عنها شعراء الثورة هي الدعوة الى الصبر و الثبات و الجهاد حتى التحرير النهائي للجزائر. (نفسه، ٢٧٤-٢٧١)

ان التفكيرالديني و التعبير عنه ذو صلة حميمة بالتفكيرالوطني لدى الكتاب الجزائريين (بن قية، ٦٥)، و الشعراء تحدثوا عن الوطن و العروبة في إطارالدين الاسلامي. فكثيراً ما يمزج الشاعر بين هذه الموضوعات الثلاث، لأنه لايفرق بينها و لايعتبرها قضايا منفصلة، و حين يتغنى بالوطن يقرنه بالعروبة و الاسلام. فالوطن و القومية و الدين كلها بالنسبة له أمر واحد، و يرى أن الوطن لايتحرر الا اذا رجع الى اصالته و انتسب الى قومه، و ذلك لا يتم إلا إذا رجع الى القومية و هذه لايعلو شأنها الا إذا اعتمدت على الدين الاسلامي و لانكاد نجد شاعراً حين يتعرض للوطن لايتحدث عن الدين (ركيبي، الشعرالديني الجزائري الحديث، صص ٦٨١-٦٨٠)

٤- الشعرالاسلامي عند محمد العيد

إنّ أوّل ما يلفت انتباه المتأمل في الشعر الجزائري الحديث هو حضور المعاني القرآنية فيه، و يلاحظ أن الشعراء كانوا يستلهمون من القرآن مواقفهم من الاستعمار الفرنسي بسبب المكانة المرقومة التي احتلّها القرآن من نفوس الشعراء و التي تتمثل في تجاربهم الشعرية. و محمدالعيد

الذى ارتكز فى صورته الشعرية على القرآن الكريم و قصصه أحد أبرز هولاء الشعراء. إنه يشبه الواقع الشعب الجزائري و معاناته الظلم الذى يلقاه صباح مساء دون أن يكون له شاهد يشهد على ذلك بواقع يوسف من طرف امرأة العزيز التي اهتمته و لم يكن لديه شاهد يشهد ببرائته سوى قميصه و يقول:

وطني الذي همّوا به و دليله
كدليل يوسف ثوبه المقدود
لا يأمنوا صبّ العذاب عليهمو
فرعون أعتى منهم و ثمود

(الديوان، ٢٢)

و فى التعبير عن حبه العميق للجزائر يستلهم قصة موسى و يقول:

ولي وطنٌ حبيبٌ لي حبيبٌ
وقفتُ على محاسنه هَوَايا
و إذ آنستُ من بلّواه ناراً
فإني قد وجدتُ به هُدايا

(نفسه، ٢١٧)

كما يستلهم محمد العيد صورته الشعرية من القصص القرآنية كقصة موسى، و عيسى، و يعقوب، و سليمان، يستلهم طائفة من المعانى القرآنية لتشجيع الناس على السدين و العمل بتعاليمه و تطبيق أحكامه. و يحملهم على أن لا يخافوا من أية قدرة، لأن الله هو الغالب القهار، و المخلوق مهما كانت قدرته لا يقوى على أن يغلب قدرة الله.

حمداً لمن فى الحق غاث و غارا
و لوجهه عنّت الوجوه صغارا
سبحانه زجرَ القوى عن الأذى
و حمى الضعيف من الأذى و أجارا
الغالب القهار فوق عباده
من ذا يعقب حكم من سوى القوى
و درى الغيوب و قدر الأقدارا

فيحمد الله الذى أغاث فى الحق و يذكر أن الوجوه جميعاً عنّت لوجهه و هو الذى يحمى الضعيف و يجيره و ينعته سبحانه بأنه الغالب القهار فوق عباده (الديوان، ١١٢) و إذا حكم فلا معقب على أحكامه و هو مقدر الأقدار. و فى الحقيقة يهدف الشاعر أن يعيد الثقة الى النفوس و أن يقوى ارادة الشعب الجزائرى فى صراعه مع الاستعمار الفرنسى. و يؤكد أن النصر سيتحقق بعون الله. و الشعب إذا أراد النصر فعليه أن يؤمن بالله و يستعين به وحده. إن محمد العيد استلهم هذه المعانى من قول الله تعالى فى القرآن الكريم: «و عنّت الوجوه للحسى القيوم» (طه، ١١١) و «والله غالب على أمره» (يوسف، ١٢١) و «والله يحكم لامعقب لحكمه»

(الرعد، ٤١). هذا يدل على أثر الثقافة الاسلامية فى شعره حيث نستطيع أن نقول إننا لانكاد نجد قصيدة تخلو من الثقافة الاسلامية، و الاتجاه الاسلامى اكثر حضوراً فى شعره من المضامين الأخرى. ويذكر احمد دوغان، أنه يهتم اهتماماً كبيراً بهذا الجانب و يعمل على تغذية الشباب الجزائريين بالثقافة الاسلامية و تشرّبهم بما لمواجهة الغزو الثقافى الفرنسى الذى يهدف هدم هذه الثقافة و محوها من قلوب الشباب. (دوغان، ٢٨٢-٢٨٠)

فالشعر الدينى الذى يمثل اغلب شعر محمد العيد شعر اصلاحي، و الشعر الاصلاحى يحتذى فى نماذجه لغة القرآن الكريم و الأحاديث النبوية كما نجد فى شعر محمد العيد آل خليفه الذى كان يطلق عليه عبد الحميد بن باديس «حسن الحركة الاصلاحية». (يوسف/١٣٤)

٤-١- مولد النبي

قد نجد فى شعر الاصلاح الاحتفاء بالمناسبات الدينية كالمولد النبوى. و لمحمد العيد قصيدة «ذكرى المولد النبوى» أنشدها فى احتفال بالمولد النبوى أقامته جمعية الشبيبة الاسلامية بنادى الترقى^١. (الديوان، ٧٥) يبدأ القصيدة مخاطباً نادى بذكر المولد النبوى. و يذكر فضل الرسول و ميزته و هو خير مولود، و سيد الخلق و مرشدهم و المصطفى المختار.

ألا انعم أيها النادى	بذكرى مولد الهادى
لقد جئناك وُراداً	على آثار وُراد
و قمنا فى مسرات	و أفراح و أعياد
نحیی خير مولود	بدا فى خير ميلاد
نحیی سيداً فى الخلق	متبوعاً بأسياد
نحیی المصطفى المختار	آباءً لأجداد

(الديوان، ٧٥)

و بعد تحية هذا المولود المبارك يذكر مجد العرب القديم و حضارتهم و دولتهم، يقول:

سلوا التاريخ عن برّ	رحيم للورى فادى
سلوا التاريخ عن طود	تعالى فوق أطواد

¹ - أسس نادى الترقى عام ١٩٢٦ وقد لعب دوراً هاماً فى الحياة الأدبية و الثقافية، و فى الدعوة الى إحياء اللغة العربية و الثقافة القومية بالمحاضرات التى تلقى به من عظماء الرجال فى المواضع المختلفة. (انظر: الجابرى، ١٣٧)

سلوا التاريخ عن أرض حماها من يد العادى
 سلوا التاريخ عن دولة الاسلام كم باهت بأجناد
 سلوا عن دولة الشام سلوا عن ملك بغداد

(نفسه، ٧٧)

ثم يذكر ما طرأ عليهم من الخراب و الابداء و يقول:

محاها الدهرُ كالبحر بأمواج و أزباد
 فأودى شاطئ الخلد و أودى طيرُه الشادى

(نفسه)

و يحرض الشبيبة على استعادة الماضى و يطلب منهم أن يردّوا مجد ماضيهم و أن لا يستسلموا للأعداء.

فردّوا مجد ماضيكم و حوْطوه بأرصاد
 وقوا أنفسكم نار عداوات و أحقاد
 أحييوا كلَّ إبراق من الباغى يارعاد
 و لاتعنوا لظلام و لاتخنوا لجلّاد

(نفسه، ٧٨)

و له قصيدة «سلوا التاريخ» أنشدها فى ذكرى المولد النبوى الشريف، يستطرد فيها من لون الى لون آخر، و بعد ذكر المولد يحضّ على النهوض، و يذكره باجماد التاريخ الإسلامى، و يدعوهُ الى الاستقلال و التحرر من الأجنبي، و يخاطب نفسه:

و لا تدعى هموم الدهرِ تطغى عليك فقد أتى شهرُ السعود
 ألم تنفس بمكة فى ربيع بأزكى ناشىء أزكى ولود؟
 ألم تنفس به طفلاً يتيماً يتيه على التائم فى العقود

(نفسه، ١٩٨)

و يذكر أن دعوته استمرار لدعوة الانبياء السالفين و يقول:

يواصل دعوة لله عظمى و ينذر باسمها أهل الجحود
 و يسندها الى عيسى و موسى و ابراهيمَ قبلهما و هود

(نفسه، ١٩٩)

م ينتقل الى التذكير بأجداد التاريخ الاسلامي:

سلوا التاريخ عن أزكى رسول
رؤوف في الكتاب بكم ودود
سلوا افريقيا عما أتاها
مع الاسلام من برّ و جود
سلوا عن عقبة الغازي و عمّن
تلاه من السرايا و المدود
سلوا أوراس^١ عن حسنّ قدماً
و عن غزو الهداة من الجنود

(نفسه، ٢٠٠)

و يحرّض الشعب على النهوض و التحرر من الاستعمار الاجنبي قائلاً
و هل شعب الجزائر مستفيق
من الأحلام مطّرح الركود؟
و هل هو بالتحرر سوف يحظى
كأمة ليبيا أو كالهنود؟
و لا يعطى التحرر غير شعب
يجيب الى المعامع حيث نودي
سخي بالقدى إن سيم ضيماً
وخصوصاً في مطالبه و عودى
فليس يهاب زممة العوادي
و ليس يخاف دممة الرعود

(نفسه، ٢٠١)

و يؤكد أن التحرر لا يحصل إلا بالفداء و عدم الخوف من الاعداء. و له «أنشودة الوليد»
التي طبعت قصيدة مستقلة بهذا العنوان بالجزائر سنة ١٩٣٨ موجهة إلى تلامذة المدارس العربية
الجزائرية ليقنتدوا بالرسول و يعارضوا تقليد الفرنسيين و يرفضوا الاندماج. فيها يخصّ

الشاعر تعلقه بالرسول، و يخلص حبه له، و يقول إن حبه يفوق الجميع.

محمّد أتعلّقُ
و بخلقه أتخلّقُ
و على البنين جميعهم
في حبه اتفوقُ
نفسى الفتية دائماً
من حبه تتحرقُ
إن التعلّق بالرسول
ودينه بى أليقُ
أنا مسلمٌ أهوى الهدى
بسواه لا أتحقّقُ
بخلال أحمد أرتدى
و بحبه أتمنطقُ

(نفسه، ١٦٦)

١ - أوراس مجموعة جبال شائعة، تقع في جنوب قسنطينة. و في سفوحه الصحراوية مات عقبة بن نافع، و فيها تقع القرية المنسوبة اليه. (انظر: الديوان، هامش ٢٠٠)

و يصوّر ميلاد النبي في شهر ربيع الأول كظهور البدر في أول كل شهر و يذكر أن مولد النبي (ص) قد أعطى الوجود نضارة و حيوية و نشاطاً، و يعتبر يوم ميلاده أشرف الأيام.

في مثل هذا الشهر لاح كَبَدْرِهِ يَتَأَلَّقُ
اليومُ ألسنةُ العوالم بالبشائر تُطَلَّقُ
فعلى الوجود نضارةٌ ملءَ العيون و رونقُ
لايَوْمَ أشرفُ فيه من يوم الرسول و أشرق

(نفسه)

و يؤكد أنه لا ينثنى عن الرسول و عمّا جاء به من رسالته و لو أنه واجه الصعوبات و الأذى:

قسماً برّبك إني من غيره لا أفرقُ
إني على البيضاء معتدل الخطأ لا أزلق
لا أنثنى عنها و لو أصلى الجحيمَ و أشنق

(نفسه، ١٦٧)

و يصف الفرنسيين الذين ييغون الاندماج بأهم حمقاء و يخاطب الشعب بأن يقتدى بالرسول و يرفض الاندماج و يؤكد أن الشعب الذى يقتدى بالرسول لا ينمحي ابداً.

إنّ الذى ييغى اندما جك فى سواك لأحقق
لا ينمحي شعب بشارا تِ الرَّسُولِ مُطَوَّق

(نفسه، ١٦٨)

٤-٢- الدفّاع عن الاسلام و الرد على أعداء الدين

إن آشيل أحد الاستعماريين فى الجزائر كتب مقالات عديدة حمل فيها على الاسلام و المسلمين و ادعى أن القرآن كتاب يدعو الى الحرب و أنه سبب تأخر المسلمين و ضعفهم و بقائهم فى الجهل (راجع الديوان، ٨٥) و محمد العيد يتصدّى له فى قصيدة «هذيان آشيل» مبيناً أن القرآن كتاب الله يأمر بالصدق و الحق و العدل و يقول:

آيأته يُهدى الاسلام ما برحت تهدى الممالك جيلاً بعده جيل
فأية ملؤها ذكرى و تبصرة و آية ملؤها حكمٌ و تفصيل
كلامه الصدق لامينٌ و لا كذبٌ و حكمه الحق لامينٌ و تفصيل

(نفسه، ٨٥)

إن محمد العيد الأعزل من كل سلاح يركز الهجوم على العدو، بل يوسع مدلول العدو من شخص إلى الاستعمار، فيتعرض له في سخرية لاذعة و مقارنة دامغة (انظر: حرفي، ١١٤)

فليس منه لأعلى الناس منزلة عدن و فيه لأدنى الناس سجيل
و لا احتيال و لا غمضٌ و لا مظلٌ و لا اغتيال و لا نعص و تنكيل
و يرد على آشيل بقوله:

ما بال آشيل يهذى في مقاله كحاكم راعه في النوم تخيل؟
ما بال آشيل يزرى المسلمين وهم غُرُّ العرائك أنجابٌ بهاليل؟
و يذكر أن اقوال آشيل ليست إلا هذيان، و أن المسلمين لهم مكانة مرموقة. و في القصيدة تعريضه بـهانتوتو^١ و موقف محمد عبده المشهور أمامه حيث يقول:

إني أرى (عبده) المرحوم مندفعاً ينحى على رغم (هانوتو) و برتيلو^٢
و يشيد بعبد الحميد بن باديس الذى كتب مقالات ردّاً على آشيل و يقول مخاطباً اياه:
عبد الحميد رعاك الله من بطل ماضى الشكيمة لأيلويك هويل
دمغت أقوال آشيل كما دمغت أبطال أبرهة الطير الأبايل
عليك منى و إن قصرت في كلمي تحية ملؤها بشرٌ و تهليل

(الديوان، ٨٦)

نظم محمد العيد قصيدة «تحية المسلم الجديد» عام ١٩٥٤ للإشادة بإسلام شاب فرنسى اسمه «بنوا» و سمي بعد اسلامه «على سليمان». يظهر فيها غيرة محمد العيد القوية على الدين الاسلامي و ابتهاجه العظيم بانتشار الاسلام. (مصايف، ٢٣) يقول مخاطباً اياه:
بنوا لقد أبليت في حرب الهوى حسناً و ما باليت باللوام
و يذكر أنه قد أبلى بلاء حسناً في مقاومة نفسه و لم يأبه بلوم اللاتمين و أنه قد علا قومه منزلة و بإسلامه قد سلم من الشرك و الجريمة.

إنسى أراك علوت قومك رتبةً و سلمت من شركٍ و من إجرام
و من اهتدى بهدى الاسلام و اضطلع به فهو يفوق الرجال جميعهم. وراح يبين مكانة سلمان الفارسى و صهيب الرومى و بلال الحبشى في الاسلام.

١ - هانوتو (١٨٥٣-١٩٢٤) مؤرخ فرنسى و رجل سياسة

٢ - برتيلو فيليب (١٨٦٦-١٩٣٤) سياسى فرنسى

سَلَمَانُ فَاقَ الْفُرسَ أَجْمَعَهُمْ بِهِ وَ صُهَيْبٌ فَازَ بِهِ عَلَى الْأَرْوَامِ
وَ بِلَالٌ سَادَ بِهِ عَلَى الْأَحْبَاشِ مَا دَوَّى الْأَذَانَ مُطْرَبِ الْأَنْغَامِ

(الديوان، ٢١٤)

و ينتقل الشاعر الى الترحيب بالمسلم الجديد «بنوا» و اشراك جميع المسلمين في هذا الترحيب.

بنوا بنو الإسلام من أقطارهم حيوك بالترحيب و الاعظام
أنت الفرنسى الخفيف فمرحبا بك من شقيق واجب الاكرام
الدين اذعان لرب واحد سبحانه هو غافر الآتام

و يحمل المسلم الجديد مسؤولية الدفاع عن الاسلام، و يذكره بواجبه و هو اظهار الحقيقة المداسة تحت الأقدام فى الغرب:

بنوا أمامك واجب فاهض به متقلداً ذكراك كالصنم
إنّ الحقيقة أصبحت مهزومة فى الغرب تحت مواطىء الأقدام
جلجل بما كالرعد غير مُجمجم وازأر بما غضبان كالضّرغام

(نفسه، ٢١٥)

٣-٤- تمجيد الشهادة و الشهداء

إن التأمّل فى شعر محمدالعبد يجد فى بعض اشعاره تمجيداً للشهادة و الشهداء. فى فاتحة ديوانه قصيدة «فاتحة ثناء و ابتهاج» يذكر أن الشهداء بما بذلوا من روح نشروا الإسلام و خلدوه للعالمين و يقول:

لقد نشروا هدى الإسلام قدماً بما بذلوه من روح التفانى
و أبقوه لنا أغلى تراث له فى العالمين أجلّ شان

(نفسه، ١)

فى يوم عيد الأضحى ألقى الشاعر قصيدة بمقبرة الشهداء بالأوراس عنوانها «وقفة على قبور الشهداء» يدعوهم بالرحمة و الجزاء الحسن:

رَحِمَ اللهُ مَعْشَرَ الشَّهَدَاءِ وَ جَزَاهُمْ عَنَّا كَرِيمِ الْجَزَاءِ
وَ سَقَى بِالتَّعْيِيمِ مِنْهُمْ تَرَاباً مَسْتَطَاباً مَعْطَّرَ الْأَرْجَاءِ

و فى مناسبة أخرى يدعو للشهيد الذى بذل النفس فى الحرب بالرحمة، و يعتبر الشهداء شهباً فى الظلام:

رحم الله كلَّ حرّ شهيد لك بالنفس فى الوغى مبدال
شهداء الاوطان شُهب دجاها و شهودُ الفدا و الاستبسال

(نفسه، ٤٢٨)

و استلهاماً من الآية القرآنية «و لاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربّهم يُرزقون» (آل عمران/١٦٩) يقول:

لا تَحَلَّ مَعَشراً قَضُوا فى سبيل الله، موتى، بل هم من الأحياء
إنهم عند رهم حولَ رزق منه فى نعمة و فى سرّاء
هكذا أخبرَ الإله فَصَدَّق نَبأَ الله أَصْدَقِ الأَبْئاءِ
و يصفهم بأنهم سرج الأرض و نجوم السماء:

شهداء التّمدين فى كلِّ عصرٍ سُرُجُ الأرضِ بَلِ نجومِ السماءِ

(نفسه، ٤٣٥)

و انهم قواد المعارك يخوضون المعارك الحمراء، و هم رواد الأبطال فى رفع لواء الاسلام.

أنهم قادة الفيالق فى الرّحف لَحُوضِ المعارك الحمراء
أنهم رادة البطولة فى التّصر و عزّ الحمى و رفع اللّواءِ

(نفسه، ٤٣٦)

إن ذكرى الشهيد باقية فى القلوب، و كفى به كرامةً أنه اكتسب رضى الله:

إن الشّهيد مُخلدٌ الذّكرى له نُصبٌ لدينا فى القلوب مشيد
حَسبُ الشّهيد رضى الإله كرامةً و رضى الإله هو العُلا و السؤدد

(نفسه، ٢٢٨)

و يذكر بمنازل المجاهدين و الشهداء عند رهم، و بما وعدهم الله به من الثواب و المغفرة

فى دارالخلود على النحو التالى:

فحياته فى الشّأتين حياتُه يحيا و يُرزق و هو مَيّتٌ ملحد
و ثوابه عند الإله مضاعفٌ بُشرى و مغفرةٌ و عيشٌ أرغد

(نفسه، ٢٢٩)

٤-٤-٤- الدعوة الى القيم الاسلامية

إن الدين الاسلامي احتلّ مكانة مرموقة عند محمد العيد، و في اشعاره يدعو المسلمين الى إحياء الدين و شعائره و يحرّضهم على التمسك بالقيم الاسلامية و احيائها. و يفضل دين محمد على كل الأديان، فيعتبره سبباً للترقى و يقول:

بنى الاسلام أحيوا الدين أحيوا شعائره و أوفوا بالعقود
فدين محمد دين الترقى و مجد محمد مجد الخلود

(نفسه، ٢٠١)

٤-٤-١- التوحيد

من القيم الاسلامية في شعر محمد العيد التوكيد على التوحيد و التحذير من الشرك بالله، له قصيدة «كلمة في رساله» يصف ذات الله و صفاته و أفعاله بالوحدة و يقول:

وحده في ذات و في وصف و في فعل و في خلق و في إبداع
و يحذر من الشرك و يعتبره داء كامنا الأضرار و الأوجاع:
و احذر شراك الشرك فهي كثيرة شتى المظاهر جمّة الأنواع
الشرك داء في البرية كامن مستفحل الأضرار و الأوجاع

(نفسه، ١٤٠)

و التحذير من الشرك و الدعوة الى عدم الإشراف بالله هي الدعوة الى عبادة الله و توحده، كما قال الله تعالى «و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً» (النساء/٣٦)
و يدعو الى التمسك بالتوحيد و المشى تحت لوائه و الاستضاءة بضوئه:

فاقبس من التوحيد أعظم جذوة و تمش تحت ضيائها اللامع
و يقول في موضع آخر:

فأوى من التوحيد خلداً طيباً و تنشقى من عرفه الضواع

(نفسه، ١٤١)

٤-٤-٢- الرضى بالقضاء و القدر

إن قوة الايمان في القلب تجعل الانسان مهياً لقبول أحكام الله و الرضا بقضائه، و المؤمن الحقيقي يرضى بما قدره الله له، يقول محمد العيد:

تردّد لو بعد المصيبة نادماً و ما قول لو بعد المصيبة نافع
 لقد قدر الله المقادير كلّها و ما تمّ مشفوعٌ و لا تمّ شافع
 أحاط قضاء الله بالخلق كلّهم فلم يمتنع شيخٌ و لم ينبجُ يافعُ
 ألا فارجع الطرف الذي انت طامحٌ بهِ و اخفِضِ الرأس الذي أنت رافع
 فما لك فيما يدفعُ الله جالبٌ و لالك فيما يجلبُ الله دافع

(نفسه، ٣٦٨)

لا فائدة للندم بعد المصيبة، و ما قدر الله من المقادير لامرد له، و لا يستطيع احدٌ أن يجلب ما دفع الله و لا أن يدفع ما جلبه الله. كل هذه المعاني استلهمها العيد من آى الذكر الحكيم. إن الايمان بالقضاء و القدر دليل و برهان على صدق ايمان المؤمنين و ثقتهم بعدل الخالق و معرفتهم بأن الله يريد لهم الخير و هذه صفة محمودة فيهم.

و ليس لهم على القدر انتقادٌ و ليس لهم على العمل اتكالٌ
 رضوا أبداً بقسم الله حظاً و هل فى قسمه الا الكمال

(نفسه، ٢٨٠)

هؤلاء المؤمنون لا ينتقدون القدر، و يرضون بما قسم الله لهم لأنهم يعرفون أنه لا يظلم الناس شيئاً كما يصرّح به في هذه الآية القرآنية «إن الله لا يظلمُ الناس شيئاً» (يونس/٤٤) و لم يقصد محمد العيد من الرضى بالقضاء و القدر تبرير الاحتلال و لم يلجأ الى الله لإقناع الناس بوجوب الاستسلام للمستعمر، اما يستخدم الشاعر هذه المعاني فى الحث على التوكل على الله. و الايمان بقضائه و قدره و لتوثيق الصلة بالله، حتى تكون مواجهة الطغاة ذات غاية سامية و شاملة، هى الاستجابة لإرادة الله الذى قضى بنصر الحق و دحر الظلم.

أفوضُ أمرى للذى غمّر الورى بآلائه من كل رطب و يابس

(نفسه، ٣٨٠)

٤-٣-٤-٣- الصبر

فى شعر محمد العيد دعوة الى التفاؤل و الصبر، و لكن هذه الدعوة ليست لتبرير الاحتلال بل الهدف منها تقوية الضمائر و التحريض على مواجهة الأعداء، يقول الشاعر فى قصيدة «كن قوياً».

لاتقل مَشَعَلَى خَبَا و احتوى الليل مَسَكِنَى
وزقا حولى الصدى فاختفى صوتُ أرغنى
لك فى الأرض راحة من جنى الخلد تجتنى

يبدو أن الشاعر يعتقد أن التفاؤل و الأمل يزيدان من الصبر، فيبدأ كلامه بالدعوة الى التفاؤل، لينتقل بعد ذلك الى الدعوة الى الصبر، والتحدى بها.

و اجعل الصبرَ ديدناً إنه خيرُ ديدن (نفسه، ٣٢٢)

و يوصى الشعب بالصبر، و يصف الصبر بأنه عنوان الرشد:

نعزيكم و نوصيكم بصبر فإن الصبر عنوان الرِّشَاد (نفسه، ٤٨٦)

و يذكر أن الفوز و الأجر للصابرين:

و للصبح آذان و افئدة تُعَى و للصابرين الفوزُ و الأجرُ فى الغبِ (نفسه، ٢٤٩)

٤-٤-٤- التضحية فى سبيل الله

إن الحثّ على بذل النفس و المال فى سبيل الله يحتلّ قسماً من أشعار محمدالعيد فى تحفيز الشعب الجزائرى ليستجيب نداء الجهاد، يدعو الشاعرالى الجهاد فى سبيل الله و يقول:

هلمَّ نُعارِكْ فالحياةُ مَعَارِكُ هلمَّ نِقاحم فالحياةُ مِقاحم
هلمَّ نُثِرْ فى المؤمنين جميعهم دويّاً له مثل الرعود دَمادم
هلمَّ تَبِعْ لله ما ابتاع منهم ففى البيع أرباح لنا و غنائم

(نفسه، ١٣٧)

و قال فى مناسبة أخرى:

البائعين نفوسهم لله فى سوق الجهاد بجنة الإنعام (همان، ٢٤٢)

و يشيد بالذين باعوا نفوسهم بالجنة و النعيم. و فى قصيدة «بشرى للجزائر» يقول:

أين الذين يجاهدون بما لهم فى نفع أمتهم و دفع أذاتها
المال قبل النفس و اقرأ إن تشأ سُورَ الكتابِ تجده فى آياتها

(نفسه، ٢٠٠)

فى هذه الايات يقدم التضحية بالمال على التضحية بالنفس، و يأتى بالدليل على هذا التقديم أن آيات القرآن الكريم تقدّم الحث على الجهاد بالمال على النفس. «ان الذين آمنوا و

هاجروا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله» (انفال، ٧٢)

٤-٤-٥- الوحدة

إن القرآن الكريم و تعاليم الاسلام يدعوان الى الوحدة و عدم التنزاع لأن الاسلام دين الوحدة. و الشعراء و الزعماء فى العالم العربى و الاسلامى قد نادوا بالوحدة الاسلامية و حذروا الشعوب من الانقسام.

و محمد العيد يحذّر الشعب من الانقسام و يمثل لهم الريح و يرجع سبب ذهابها الى تقسّمه و يقول:

أعيدُكُمْ بالله أن تَتَقَسَّمُوا هوى، فذهاب الريح عُقبى التَقَسُّم (نفسه، ٩٣)
 بعد استقلال الجزائر دبتّ الفتنة فى صفوف الشعب الجزائرى، فكاد الناس أن يتفرقوا، و محمد العيد ألقى قصيدة فى حفلة احياء ذكرى الثورة عام ١٩٦٤، دعا فيها الشعب الى التمسك بميثاقه الثورى و الاحتكام لكتاب الله لدفع الخلاف و التزاع و القضاء على الفتنة:
 ودع عنك أسباب التنازع و اعتصم بميثاقك الثورى و اشدّد به أزرًا
 و حكّم كتاب الله فى كل فتنة فتحكيمه لا بد أن يُطْفِئَ الجَمرا (نفسه، ٤٤٠)

٤-٤-٦- عدم الاغترار بزخارف الدنيا

ينصح محمد العيد الانسان على ألا يطمئن إلى الدنيا و لا يغترّ بزخارفها، و ينصحه بأن يعرض عنها مهما ضحكت بوجهه فيقول:

رأيتُ سنى الدنيا كواسرَ للورى و إن جبروها بالسنين الكوابس
 فأعرض عن الدنيا بوجهك عابساً و إن كان طلقاً وجهها غير عابس
 (نفسه، ٣٨٠)

و يذكرّ الانسان بفناء الدنيا و ما فيها من ملذات و أشياء و أحياء حتى لا يغترّ بملذاتها و لتلا يظنّ أن هذه الدنيا مقبلة عليها دائماً.

٤-٤-٧- الشورى

الاسلام يدعو الى الشورى فى الأمور كما صرّح به القرآن الكريم «و أمرهم شورى بينهم» (شورى/٣٨) و «شاورهم فى الأمر» (آل عمران/١٥٩)

محمد العيد قال فى هذا المعنى رداً على «آشيل» يذكره بحقيقة المؤمنين:

أمرهم بينهم شوري و دينهم و فتح من الله لاقتل و تمثيل (نفسه، ٨٦)
 و يلفت انتباه الجزائريين الى نجاح جيرانهم بفضل اعتمادهم على الشورى، قائلاً:
 بنوا بيد الشورى مناهج سيرها و حاكوا قضاياها على خير منوال (نفسه، ١٢٧)

٤-٤-٨- الجهاد

الدعوة الى الجهاد احتلت مكاناً بارزاً في الشعر الجزائري الحديث، و الشعراء قصدوا بها تعبئة النفوس لاستجابة نداء الثورة، الثورة التي كانت اسلامية في روحها و أهدافها.
 يضع العيد أمام ابناء الشعب الجزائري صوراً من الجهاد الحقيقي حتي يجسد فيهم الغيرة الوطنية و حبّ النضال ضد الاستعمار الفرنسي. و يركز في حياة محمد(ص) على جانب الجهاد و الوقوف عند غزواته و فتوحاته.

يا قائداً في الحرب صف جنوده لا يخرق
 لى أسوة بك فى دفاعك يوم خط الخندق
 و الصّحب بالأحزاب تُغزى و المدينة تُحـدق

يقول محمد العيد في قصيدة «ثورة بنت الجزائر» مخاطباً البنت محرّضاً لها على المساهمة في الجهاد:

سأهمي فى الجهاد جنداً الجهاد فاستجيبى بعزيمة للمنادي (نفسه، ٤٣٠)
 فى رأي محمد العيد ليس الجهاد مقابلة العدو فى المعركة فحسب، بل يرى أن التواصى بالحق و الصبر هو جهاد و تضامن، قال:

تواصى بالحق و الصبر فيه و التواصى تضامن و جهاد (نفسه، ١١٨)
 و لا تختص هذه الدعوة بالشعب الجزائري بل تتجاوز الى الاقطار العربية الأخرى.
 أغار على الكنانة شرُّ عادٍ فقل: يا مصرُ حيّ على الجهاد (نفسه، ٣٤٤)

٥- حصيلة البحث

مما قدمنا فى هذا البحث من الشعر الاسلامي الجزائري يتضح لنا أن الشعر الاسلامي أثناء الثورة الجزائرية كان عاملاً من عوامل التعبئة العامة من أجل الجهاد فى سبيل الحرية.

و الاعتزاز بالدين و الاخلاص للعقيدة الدينية سمة بارزة يتميز بها الشعر الجزائري الحديث و بعبارة أخرى شعر الثورة الجزائرية التي كانت قائمة على مبادئ الاسلام في جميع أهدافها و خططها. و الشعراء استمدوا من الدين القيم و المثل العليا التي حاولوا بعثها في نفوس الشعب الجزائري.

إن محمد العيد و هو من المنتمين الى الحركة الاصلاحية في الجزائر من اكثر الشعراء ارتكازاً على الدين الاسلامي بما فيه من القيم العليا، و اذا قمنا باحصاء أثر الثقافة الاسلامية في شعره نجد أن ما نشر له من القصائد مليئة من معين ثقافته الاسلامية، كما نجد أنه يتخذ من الأعياد و المناسبات الدينية موضوعاً لأشعاره.

ديوان محمد العيد بصور إيمانه و تقواه و تدينه و تخلقه بالفضائل الاسلامية و تدل اشعاره على صدق عاطفته و ايمانه الراسخ و اخلاقه النبيلة. يدعو في اشعاره الشعب الى احياء الدين و شعائره و يحرضهم على التمسك بالقيم الدينية و احيائها، و معظم اشعاره، الإشادة بالدين الاسلامي، و الاقتداء بالرسول و التعلق به. إنه في اشعاره يرفض الاستعمار و يستخدم المعاني القرآنية لتحريض الشعب على النهوض و التحرر من الاستعمار الاجنبي. هذا يدل على شجاعته و التزامه و نظراته الاصلاحية و معرفته بالواقع الاجتماعي و السياسي لبلاده.

المصادر و المآخذ:

- القرآن الكريم
- ابوحاقه، احمد، الالتزام في الشعر العربي، بيروت، دارالعلم للملادين، ١٩٧٩.
- بيطام، مصطفى، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، دراسة موضوعية و فنية، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٨.
- بن قينة، عمر، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.
- الجابري، محمد صالح، رحلات جزائرية، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١.
- خرفي، صالح، في رحاب المغرب العربي، بيروت، دارالغرب الاسلامي، ١٩٨٥.
- درار، أنيسة بركات، ادب النضال في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.
- الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث، الطبعة الثامنة، لبنان، دارالفكر، ١٩٧٣.
- دوغان، احمد، في الأدب الجزائري الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦.
- ركيبي، عبدالله، قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث، الطبعة الثالثة، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧.

- ركيبي، عبدالله، الشعر الديني الجزائري الحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ١٩٨١.
- الزاهري، محمدالهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، تونس، المطبعة التونسية، ١٩٢٦.
- سعدالله، ابوالقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دارالغرب الاسلامي، ١٩٩٨.
- الفاحوري، حنا، تاريخ الأدب في المغرب العربي، بيروت، دارالجيل، ١٩٩٦.
- مصايف، محمد، فصول في النقد الادبي الجزائري الحديث، الطبعة الثانية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ١٩٨١.
- ناصر، محمد، الشعر الجزائري الحديث، الطبعة الاولى، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٥.
- يوسف، احمد، السلالة الشعرية في الجزائر، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٤.
- هني، عبدالقادر، المعاني القرآنية في الشعر الجزائري الحديث. Awu-dam.org